صورة الإمام الكاظم عليه السلام في الأدبين العربي والفارسي المعاصرين دراسة مقارنة

الباحثة مهين ظهيري
طالبة دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس بوشهر ـ إيران
mahin Zohairy@gmail.com

A Comparative Study of the Image of Imam Kadhim (PBUH) in Contemporary Arabic and Persian Poetry

Mahin Zohairy
PhD student in Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran

الملخص:ـ

الصورة هي الإطار الذي يصبّ الشاعر ما تفوح وتموج في نفسه تجاه الوقائع لإلقائه علي المخاطب وتحريك مشاعره وإحساساته. للصورة، مؤشّرات واجزاء بنّاءة كاللون، الفكرة، العاطفة والخيال وفي علاقتها مع البعض، تعكس صورة إجمالية من نص أدبي ما. إهتمّ النقّاد والأدباء وعلماء البلاغة منذ القديم بدراسة الصورة؛ لأنّها تقوم بدور فعّال في إيصال التجارب الشعرية إلى الآخرين. تجعل أساليب التصوير المختلفة عمل الشاعر الفنّي أشدّ وضوحاً وأكثر ظرافة وهي ظاهرة وجدناها في كثير من قصائد الشعراء المعاصرين في مدح الإمام الكاظم عليه السلام حيث إستعانوا بأنواع الصور ليرسموا لوحة مما يريدون إلقائه علي القارئ وليزيدون عملهم الأدبي جمالاً ورونقاً للتأثير فيه.

لمدح الإمام الكاظم في الأدبين العربي والفارسي تاريخ عريق لكن شعراء العرب والفرس المعاصرين في العصر الراهن قد رغبوا كثيرا في إنشاد المدائح لهذا الإمام الهمام، إلى أن إزداد حجم هذه المدائح كثيرا في قياس الأدوار السابقة. قامت هذه المقالة بأسلوب توصيفي تحليلي مقارنة صورة الإمام الكاظم عليه السلام في القصائد العربية والفارسية المعاصرتين. فبعد قرآءة دواوين شعراء العرب والفارس الملتزمين واستخراج الأبيات المقصودة قمنا بمقارنة المضامين والمحاور المشتركة في شعر هؤلاء الشعراء. بصورة إجمالية نستطيع أن نقول مضامين كالتوسّل والشفاعة ومقام الإمامة والحجة الالهية، وإلخ..... هي من المضامين والمحاور الهامة التي قد زين بها شعراء العرب والفرس المعاصرون مدائحهم.

الكلمات الدليلة: الإمام الكاظم عليه السلام، الأدب العربي والفارسي المعاصرين، الفضائل والمناقب، الصورة الشعرية.

Abstract:-

The image is a structure in which the poet uses his view of reality to arouse the audience's feelings and emotions. The image has constructive elements such as; color, thought, feeling, and imagination, and in its relation to other components it is a brief reflection of a literary text. Critics have long analyzed the image; because it plays an active role in conveying poetic experiences to others. Different styles make the image of the poet's work of art more elegant and vivid. We found this phenomenon in the poems of many poets praising Imam Kadhim (PBUH) in such a way that they have used various images in drawing a poetic picture for the audience, in order to give their literary works a special beauty and prosperity and affect the audience.

Although the praise of Imam Kadhim in Arabic and Persian poetry has a long history, but Arabic and Persian poets in the contemporary era of Iqbal had another form of praise for Imam Kadhim (PBUH), so that the volume of praise of Imam Kadhim (PBUH) only in the last century is more than all previous periods. The character of Imam Kadhim (PBUH) has been praised by many Arab and Persian poets. In this research, in a descriptive-analytical and a comparative approach, the image of Imam Kadhim (PBUH) in contemporary Arabic and Persian poems has been studied. Explain about Imam Kadhim (PBUH) and after searching the poems of the most important contemporary religious poets of both languages, an attempt has been made to explain their most important themes and common themes about Imam Kadhim (PBUH). At a glance, it can be said: appeal, intercession and the position of Imamate and divine authority, and so on is one of the most important themes that contemporary Persian and Arabic poets have decorated their poems and ballades in praise of the Imam.

Key words: Imam Kadhim (PBUH), contemporary Arabic and Persian poetry, virtues, poetic image.

المقدمة:

المديح يعني إنّ تمتدح شخصاً بخصاله وصفاته ومناقبه وسماته الطّيّبة الجميلة الّتي تُعد فضائل اجتماعيّة، فالمديح هو تعظيم شأن الممدوح وإضفاء شهرة إلى شهرته، وشأن لشأنه، ولعلّ المديح يدخل في باب رد الجميل أو المعروف. تعود جذور هذا الفن إلى العصر الجاهلي، لكن يختلف الأمر وتتباين أقلام الشعراء وطريقة نظمهم في هذا المضمار، فبعض تلك الأقلام تكون أكثر صدقاً وموضوعية تسفر عن عاطفة حقيقية خاصة إذا تعلّق المديح بالنبي صلى الله عليه وآله أو أحد أهل بيته عليهم السلام. ظهور النواة الأولى لهذا الغرض الشعري لم يكن واضحا؛ لأنّ جذوره قد طمست في ظلمات التاريخ ولم يبق منه شيء سوي جزء قليل علي الأحجار القديمة. الأوراق البردية، الأعمدة، الأهرام والقبور الّتي قد بقيت جنب نهر النيل وصحاري مصر وقصور بابل وتماثيل يونان والروم ومعابد الهند والصين تكشف عن وجود مدح كثير. مضمون كل هذه الألواح ذكر شأن ومنزلة الممدوح أو بيان شجاعته وقدرته وعظمته وفهمه وعلمه(الدهان،د.تا: ٧-٨). المدح هو من أقدم المضامين الشعرية في كل لغة وأدب ومن دوافعها كسب الصلة واللجوء إلى الممدوح.

للمديح في ديوان شعراء العرب والفرس مكانة خاصة، فقد زين الشعراء دواوينهم باسم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وقاموا بترسيم لوحات شعرية جميلة تنبع من طهارة نفسهم وصدق عاطفتهم وروعة خيالهم إذ لا يتركوا فضيلة من فضائلهم ولا حسنة من حسناتهم إلا قد عكسوها في قصائدهم بأفضل صورة. فقد أبدعوا في فن المديح، وحفلت دواوينهم بقصائد المديح.

قام شعراء هذه الفترة أي عصر المعاصر بمدح فضائل الإمام الكاظم عليه السلام وصفاته وكراماته وتحدّثوا عن نسبه وقسماً من أخباره وسيرته. تمتاز هذه الأشعار بالتوسّل وطلب الشفاعة. فالشعراء الذين جاء ذكرهم في هذه المقالة هم الذين خصّصوا جزءاً من نتاجهم الأدبي للإمام الكاظم عليه السلام معترفين بحبهم إزاءه.

لقد شغل المديح كغرض شعري حجما كثيرا من دواوين الشعراء، إذ صرفوا أغلب شعرهم ونظموه في المديح. والشاعر في أغلب مديحه لم يكن طالباً لجاهٍ أو ملكٍ أو جائزة خاصة في وقفته مدح الإمام الكاظم عليه السلام إذ لم يكن في نيّته سوى الحصول على راحة البال

والضمير ورضي الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام طمعاً منه في نيل سعادة الدنيا والآخرة وعليه فمديحهُ لم يكن مدحاً تكسبيّاً وانّما كان يمتدح الشخصيات الدينيّة المقرّبة بغية نيل سعادة الدارين(الأيوبي،١٩٩٥: ١١٧). هذه المقالة تحاول أن ترصد صورة الإمام كاظم عليه السلام في الأدب العربي والفارسي المعاصرين بدراسة مقارنة وتسعي أن تجيب علي السؤالين التاليين:

١- ما هي المضامين المشتركة لدي شعراء العرب والفرس في ترسيم صورة الإمام الكاظم عليه السلام؟

٢- ما هو الأسلوب المستخدم لدي هؤلاء الشعراء في ترسيمهم صورة الإمام عليه السلام؟

فرضيات البحث

١- الشفاعة، التوسل، العصمة، الإمامة، السخاء، المكانة المعنوية، و إلخ... هي من أهم المحاور والمضامين المشتركة لدي شعراء العرب والفرس في ترسيم صورة الإمام الكاظم عليه السلام.

٢- استخدم هؤلاء الشعراء في مدحهم الإمام كاظم عليه السلام الصنائع الأدبية كمراعات النظير، التشبيه، التلميح وإلخ....

المدح في الأدب العربي والفارسي علي مرّ العصور

المدح في الإصطلاح أن يمدح الشاعر الممدوح بصفات حميدة. المدح من أقدم الأغراض الشعرية في كلّ لغة وأدب. المدائح التي كان ينشدها الشعراء تدور غالبا حول وصف السلاطين والأمراء والوزراء والأكابر والأبطال والكتّاب. دافعة هذا الغرض الشعري هو اكتساب الصلات. ويكون غرضه في بعض الأحيان للإلتجاء بالممدوح. القصيدة من أهم القوالب الشعرية للمدح. ((المدح هو الغرض الرئيسي للقصيدة و في هذا النوع من الغرض ينبغي أن يبالغ الشاعر بوصف الأبطال أكثر من القبل إلى أن يجعل البطل أسطورة)) (شميسا، ١٣٧٨: ٢٤٠) وبعض الأحيان يتمظهر المدح في قوالب شعرية أخرى كالغزل والمثنوي وتركيب بند وترجيع بند.

الموضوع الرئيسي للشعر في العصر الجاهلي هو ((المدح والفخر)). ((شاعر القبيلة،

هو لسان القبيلة. يقوم تارة بمدح الأكابر والأبطال الحاضرين في قبيلته وتارة يقوم بمدح سائر الناس كلّما قاموا بعمل هامّ وجدير ولو أنّهم ينتمون إلى سائر القبائل. المدح في خارطة الشاعر البدوي هو باب مستقل وموضوعه ذكر الفضايل والمفاخر في هذا العصر دون أن يفكر بأخذ الصلات والجوائز بل كان يستهدف الثناء علي الممدوح. من أشهر روّاد هذا الفن في العصر الجاهلي، زهير بن ابي سلمي والنابغة الذبياني واعشي.))(فاخوري، ١٤٢٢: ٤١-٤٢)

((بعد أن أعلن النبي صلى الله عليه وآله دعوته إلى الإسلام بصراحة قد اندلعت حرب العداوة بينه وبين قريش وشعرائهم حيث عادوه لهذه الدعوة. طلب بعض الصحابة من الرسول صلى الله عليه وآله أن يقوموا بمعارضة هذه الحركة لكنه قال: ((لماذا لا ينطقون بألسنتهم هؤلاء الذين قد نصروا الله ورسوله بسلاحهم ؟))(المصدر نفسه)

المدح في صدر الإسلام كالعصر الجاهلي لم يكن لأخذ الصلات والجوائز بل: ((المدح في هذه الفترة كان من خلوص النوايا والشاعر يمدح حقيقة فضايل الممدوح وكان يذكر صفاتا انسانية جديرة كالبسالة والوفاء والعدل وإلخ..... في الواقع أن عصر صدر الإسلام بني علي أربعة أسس بعد ظهور الإسلام وهي: العقل، العفة، العدل، الشجاعة.))(مطهري زاده، ١٣٨٩: ٦).

((من حيث اللفظ والأسلوب والمعاني كان شعر هذه الفترة بسيطا ولطيفا ولم تتغير أساليبه، اما المعاني قد سايرت المفاهيم والقيم الإسلامية، وقد بقي اللفظ والكلام في شعر فئة علي نسق العصر الجاهلي وهم الحطيئه وكعب بن زهير كما قد تغير اللفظ والكلام عند البعض الآخر في قياس العصر الجاهلي حيث أصبح الشعر سهلا ورقيقا وذلك في شعر شعراء كالحسّان وامية بن ابي الصلت وفي المقابل كانت هناك فئة ثالثة قد تركوا إنشاد الشعر وأشهرهم هو لبيد بن ربيعه.))(المصدر نفسه، ٦)

حسّان بن ثابت الخزرجي الملقّب ب((شاعر النبي)) هو أكبر شاعر من شعراء النبي صلى الله عليه وآله. إنه قام بإنشاد أشعار كثيرة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وهجو المشركين بعد أن قبل الإسلام. اكثر اشعار حسّان يدور حول الهجاء وسائر أشعاره تدور حول ذكر افتخارات الأنصار ومدائح النبي صلى الله عليه وآله والإسلام ومدائح الملوك الغسانيين ونعمان بن منذر وسائر اشراف العرب ووصف مجالس اللهو والخمر وقليل من الغزل. بعد أن أسلم حسّان بن ثابت قد

انحصرت مدائحه في مدح النبي صلى الله عليه وآله والصحابة والذين قد خدموا الإسلام بأموالهم وأفئدتهم.(المصدر نفسه، ٢)

بسبب مخالفة الكفار النبي صلى الله عليه وآله والإسلام فئة من الشعراء المشركين قاموا بمعارضة ضد النبي وهم: عبدالله بن الذبعري، ابي سفيان بن الحارث وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص وكعب بن زهير، لكن عدد من هؤلاء إستسلم مؤخرا وفد كفّ لسانه عن هجو النبي صلى الله عليه وآله ومعارضته الإسلام حيث اصبح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله منهم كعب بن زهير.

كما أن ظهور القرآن أدّي إلى تقليل شأن الشعر قليلا، ففئة من الشعراء قد تركوا الشعر بعد نزول القران واهتمّوا بقراءة القرآن وحفظه وأداء الفرائض الدينية من هؤلاء نستطيع أن نذكر لبيدبن ربيعة العامري الذي أنشد بيتا واحدا بعد أن أصبح مسلما.

من الأغراض الذي قد تركه الشعراء في عصر خلفاء الراشدين هو الغزل المتهتّك أو الصريح والثاني الهجويات، والفخر الباطل، ووصف الخمر ومجالس اللهو واللعب، لكن هناك شعراء آخرون غير مسلمين كالحطيئه أو قسم آخر قد واصلو إنشاد هذه الأغراض(آئينه وند، ١٣٨٨: ١٠٠-١٠١).

وصلت النقائض بنوعيه نقائض المسلمين والمشركين إلى ذروتها في هذه الفترة. خاصة النقائض التي أنشدت بين شعراء الأنصار وقريش قبل فتح مكة علي سبيل المثال اشعار عبدالله بن رواحه هي أنموذج من هذا النوع. اُستخدم الشعر في هذه الفترة لدعم الدين والإسلام. الشعراء المسلمون قد دعوا الناس إلى الأعمال الصالحة والجهاد بقصائدهم لكي يهيئوا مجالا لتوسعة دين الإسلام(مطهري زاده، ١٣٨٩: ٨).

قد اهتمّ خلفاء بني أمية وبني عباس بجلب الشعراء إلى بلاطاتهم لكي يستمتعوا بلسانهم الفصيح وكذلك أن يذيع صيتهم عبر أفواه هؤلاء الشعراء. يقول حنّا الفاخوري عن اشعار عصر بني العباس هكذا: ((من الأغراض المتداولة في عصر بني العباس هو المدح، الرثا والهجو وإلخ.... الشاعر في هذا العصر كان بمثابة وسائل الإعلان حيث يبلّغ صفات أكابر الحكومة ويرفع شأنهم وينشر أخبارا صادقة وكاذبة عنهم. في هذه المدائح جميع الأمراء لهم قدرة خارقة للعادة وبالسخاء والكرم يمتازون علي سائر أقرانهم. فالمدح كان طريقة لكسب الصلات حيث كان الخلفاء بحاجة ماسّة بهؤلاء الشعراء لكي يمتازون علي منافسيهم وهذا

الأمر أدّي إلى إزدياد الإغراق والغلو في المدائح...))(فاخوري، ١٤٢٢: ٢٧٩).

جرجي زيدان هكذا يصف الشعر في هذه الفترة: خلفاء بني اميه قاموا بتكريم مثوي الشعراء لكي يجلبون نظر الناس نحوهم ويقرّبونهم إليهم بشعر هؤلاء الشعراء وإضافة علي ذلك يصونوا أنفسهم من هجاءئهم في نفس الوقت وذلك بإهداء الجوائز. بعد أن وصل خلفاء بني العباس للخلافة ما كان يحترم الشعراء ولا يكرم مثواهم فهم ابتعدوا عنه واتصلوا بالعلويين حيث ارتفع شأن محمد بن عبدالله علوي في المدينة شيئا فشيئا والشعراء أكثروا من إنشاد الشعر في مدحه (مطهري زاده، ١٣٨٩: ٧).

في العصر الإنحطاط بسبب هجوم المغول، وظهور الدولة العثمانية ورواج اللغة التركية لم يزدهر هذا العصر كما إزدهر العصر العباسي. اشتغل بعض الناس باللهو واللعب والأعمال المهملة والبعض الآخر تركوا لذائذ الدنيا والتجأوا إلى الزهد؛ فهذه الفئة الأخيرة قاموا بمدح أولياء الله والثناء عليهم راجين منهم الشفاعة وتحسين الأوضاع أو أن ينالو رضا النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين للدخول في الجنّة. في هذا العصر شرف الدين محمد البوصيري ببردته أصبح رائد هذا الفن(محمدي، ١٣٩٢: ١).

وكما قال زكي مبارك عن اهمية القصيدة ورواجها نستطيع أن نستنبط بغض النظر عن الطبعات المختلفة في الممالك العالم المختلفة؛ عدد دفعات الطبع في القاهرة في زمن تأليف كتاب ((المدائح النبويه)) يصل إلى خمسمائة مرّة. وقد هذّبت كثير من نسخه كالقرآن علي يد فنّانين الرسم والخط(زكي مبارك،١٩٩٧: ٢٧).

خدم الإيرانيون الدين الإسلامي بخدمات كثيرة بعد أن إعتنقوا الإسلام وقد تقدّموا بخطوات هامّة. في الأدب الفارسي لا يوجد أديبا لم يمدح النبي وأهل بيته وكذلك لا يوجد ديوان يخلو من ذكر أسمائهم المطهّرة مدحا ومنقبة.

لكن كما واضح ترجع خلفية المدح والمنقبة للقرن الرابع الهجري. وربّما نستطيع القول بأنّ حكيم كسايي مروزي، هو أقدم شاعر في هذا المجال حيث قام بمدح النبي وأهل بيته عليهم السلام (صفا، ١٣٨١: ١٦). في هذا القرن، قد ظهر مدح الرسول وأهل بيته في بداية القطع الشعرية لدي بعض الشعراء. في القرن السادس شهد الأدب الفارسي ازدهارا في مجال العرفان والتصوف. إحدى موضوعات الشعراء الصوفيين هو المدائح النبوية. قد كثرت

المدائح النبوية في هذه الفترة إلى أن كثير من شعراء هذه اللغة في خراسان وآذربايجان أنشدوا أشعارا كثيرة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

جنبا إلى جنب نعت الأئمة المباشر قد تطرّق الشعراء إلى ذكر الحوادث الهامّة لحياة الرسول بصورة غير مباشرة. وقضية المعراج هي من أهم تلك القضايا.

قد انتعش الأدب الفارسي انتعاشا واضحا وملموسا بعد ظهور هذا الغرض الشعري حيث أتحف الشعراء الإيرانيين الأدب آثار بديعة وذلك بالهام من القرآن والحديث النبوي وروايات أهل البيت عليهم السلام إلى أن سميت بعضها ابداعا. هذه النزعة جعلت الأدب الفارسي أن يكون ضمن أقدس تجليات ادب العالمي. أجمل نعت فارسي هو نعت نظامي كنجوي الذي أثني فيها علي النبي في أشعار جميلة جدّا حيث جعلت شاعرها محبوبا ومكرّما عند الناس(ثروتيان، ١٣٨٨: ٦٠).

قد تطرّق نظامي في جميع آثاره المشهوره بخمسة نظامي أو خمسة كنوز إلى نعت الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته رضي الله عنهم بعد حمده سبحانه وتعالي وقد زين تلك الآثار باسمه تعالى واسم رسوله لكي ينال بهذه الطريقة شفاعتهم. المعراج هو الموضوع الرئيسي في أبياته التي أنشدها لنعت الرسول ونستطيع أن نقول لم يسبقة أديب فارسي في هذا المجال(المصدر نفسه،٦٠).

مضاين شعراء العرب والفرس المشتركة في ترسيم صورة الإمام الكاظم عليه السلام:

بما أنّ الشعر هو تعبير عن الشعور الذاتي للإنسان، فهو محل لإبداء جميع الرغبات المكنونة في قلب الإنسان وعقله وبهذا التعبير يبين إحساسه تجاهها. من أهمّ الرغبات التي يتناولها الشاعر والأديب والتي يتعلّق بها قلبه بإسنادٍ من عقله، هي العقيدة، فالعقيدة لها مكانة هامّة في الأدب من أقدم العصور، فنري أنّ ملامح العقيدة واضحة جداً في آثار الهند واليونان حيث نرى جانب واسع من أساطيرهم التي جاءت في ثوب الشعر، يتناول الآلهة. وكذلك إذا جئنا إلى الأدب نرى أنّ الشعر واكب المعتقدات ودافع عنها وقد اشتهر كثير من الشعراء بدعم نحلة خاصّة وعقيدة خاصّة. من الملامح المشهودة في الجانب العقيدي في الأدب، تبيين العقائد والدفاع عنها في الشعر. المحبّة والتودّد لأهل البيت عليهم السلام يمثّل الدعامة الرئيسيّة في المذهب الشيعة وتنبع هذه العاطفة من نص القرآن الكريم حيث يؤكّد

وجوب محبّة أهل البيت في آية المودّة الكريمة حيث يقول جلّ وعلا ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى/٢٣).

محبّة أهل البيت عليهم السلام تمثّل الجانب الأكثر بروزاً في قصائد الشعراء المعاصرين بحيث نراهم يجعلون جانباً من كلّ قصيدة خاصاً بإبراز حبّهم لهم والشوق إلى زيارتهم والتمسّك بهم وهذا لا بذواتهم فحسب، بل تتعدّى محبتهم إلى الأماكن التي تذكّرهم بهم.

يعبّر الشعراء عن شوقهم الشديد وتبرز عاطفتهم المتألّمة من فراق تلك الأماكن حتى يتسائلون لو فرض إن عادوا إلى تلك الرباع، هل يرجع لهم عنفوان الشباب ليستمتعون بها كما كانوا سابقاً؟ ويصوّرون تلك المشاهد بإنّها الكحل لعينيهم وإنّ عينيهم لا تهوي إلّا أن تنظر إليها وإن ما سواها في عينيهم قذى فلا يحبّون أن يروا غير الأماكن التي تمثّل حبّهم بأهل البيت عليهم السلام.

ومن هذه الجهة جاء شعر شعراء المعاصرين العرب والفرس متضمّناً لكثير من العقائد مدافعاً عنها منها ذكر أفضلية أهل البيت عليهم السلام علي سائر الخلق ومنها وجوب محبّتهم والشفاعة التي ينالها الموالي لهم في يوم الحساب وكذلك ذكر محبّتهم.

التوسّل

إذا تصفّحنا الدواوين الشعرية لرأيناها زاخرة بجميع المعاني والمفاهيم التي يتطرّق إليها شعراء أهل البيت عليهم السلام بما فيها التوسّل بهم. نرى الشعراء يتوسّلون بالإمام الكاظم عليه السلام معدّدين فضائله:

أحد الشعراء العرب الذين توسّل بالامام الكاظم عليه السلام هو ((عبدالباقي عمري)) حيث رأي الإمام ملجأ وملاذا لكل إنسان ضاقت عليه الأمور وواجهه العسر حيث قال:

لُـــذ واســـتَجِر متوســـلاً ... إن ضـــاقَ أمـــرُك أو عَسَـــر

بـــأبي الرضـــا جـــدِّ الجـــواد ... محمّـــد مؤســـي بـــن جعفـــر

(سعودي،١٣٧٨)

غفران الذنوب والتجنّب من الزلل أيضاً من الحاجات التي كان يدعو الشاعر

لاستجابتها ويتوسّل لذلك بأهل البيت عليهم السلام خاصة الإمام الكاظم عليه السلام حيث يراه كهفاً آمناً يلجأ اليه من كان خائفاً من صروف دهره وإنّه الشفاء لمن أتعبه المرض والسقم. كما إنّه يرى فيه رمزاً لهداية البشر في ظلمات الجهل والضلال. ويعتقد الشاعر أنّ الكرم محصور في بيته ولا يتعدّاه إلى غيره من الناس.

كذلك قال الحاج ((محمد جواد بغدادي)) أنّ الإمام هو باب الحوائج يقضي كل طلب وحاجة ولا يخيب آمال محبّيه:

يـــا سمـــي الكلـــيمِ جئتُـــك أســـعي ... نحـــو مغنـــاك قاصـــداً مـــن بـــلادي

لـــيس تقضـــي لنـــا الحـــوائجُ الّـــا ... عنـــد بـــابِ الرّجـــاء جَـــدِّ الجـــواد

(المصدر نفسه)

قال شيخ ((مطربن محمود الخفاجي الغروي)) أنّ كلّ إنسان عندما يضيق عليه الأمر ويؤلمه الدهر بمخاطره الكثيرة ينبغي أن يحضر تربة الإمام الكاظم عليه السلام ويستجير به من نوائب الدهر:

إذا دهـــاك الـــدَّهرُ يومـــاً بمعضـــلٍ ... وأُنزلـــت في وادٍ مـــن الهـــول مُخطـــر

وحاطـت بـك الأهـوالُ مـن كـلّ جانـب ... عليـك ببـابِ اللهِ موسـى بـن جعفـر

(محسن امين، ١٣٧٠)

يرى شعراء الفرس أنّ من يتوسّل بالإمام الكاظم عليه السلام لن يُرد خائباً ولن يتركه الإمام عليه السلام عرضةً لشماتة الأعداء. فيقدّم الشاعر قصيدته كتحفة بين يدي الإمام عليه السلام ويعبّر عن شوقة بإنّه هو الذي يفد عليه ليحمل له المحبّة والولاء.

يعترف ((آرش براري)) أحد شعراء الفرس عند توسّله بالإمام الكاظم عليه السلام قائلا أنه الفقير والإمام هو السيد والولي حيث تحتاجه جميع النفوس ويعتبر أجنحة الملائكة مهبطا لقدومه وكذلك لا يرى نفسه لائقا لمدح الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً:

الشعر الفارسي: ما بنده و آقاي ما موسى بن جعفر/ محتاجها گويند يا موسى بن جعفر/ در پاي جودش اغنيا محتاج هستند/ قربانيش در ماه حج حجاج هستند/ بال ملائك هست فرش زير پايش/ ايزد مسخّر كرده هستي را برايش/ تابوده اين بوده ست ((آقا؛ تو، گدا؛ من))/ مدح

تورا گفتن كجا آقا كجا من؟(موقع شعرا. الموسوعة الشعرية لشعر شعراء أهل البيت).

الترجمة: نحن العبيد والإمام الكاظم سيدنا/ كلّ محتاج يقول يا موسى بن جعفر/ كل غني محتاج لجوده وسخائه/ وجميع الحجّاج هم فداء له/ جناح الملائك هي سجادة قدميه/ والسبحان سخّر الكون له/ من قديم الزمن وإلي اليوم لم أزل فقير أدعوك وأنت الملك/ ولكنني لم أستطع مدحك.

استخدم الشاعر التشبيه لكي يرسم صورة جميلة لمكانة الإمام المعنوية؛ لأنّه شبّه أجنحة الملائكة ببساط تلقي تحت أقدام الإمام شرفا وعزّا ومنزلة.

أنشد شاعر ايراني آخر أبياتا في مدح الإمام موسى الكاظم عليه السلام هو ((غلامرضا سازكار)) الذي اعتبر الإمام قبلة آمال المسلمين وهو الذي يقضي الحوائج بعناية من الله تعالى والروح تهيم في حبّها له:

الشعر الفارسي: چشم همه بر عنايت تو/ سرمايه ما ولايت تو/ تو باب مراد عالم استي/ تو كعبه روح آدم استي/ تو دست عنايت خدايي/ از خلق جهان گرهگشايي/ اي روح، كبوتر حريمت/ عالم همه بر در حريمت(موقع شعرا. الموسوعة الشعرية لشعر شعراء أهل البيت).

الترجمة: عيون الجميع تراقب فضلك/ رأسماليتنا هي ولايتك/ أنت تحقق آمال العالم/ أنت كعبة روح البشري/ أنت يد اللة الكريمة/ تقضي حوائج العالم/ أنت بمثابة النفس، كما أنت حمامة الحرم/ وكل الناس واقفون علي بابك.

كثرة الصور التشبيهية في الأبيات السابقة قد جعلت هذا الشاعر أن يمتاز علي سائر أقرانه حيث نراه شبّه الإمام برأسمالية الإنسان التي يعتمد عليها ويرتاح لوجودها في حياته كما شبّهه بباب الحوائج وكعبة الروح ويد الله.

طلب الشفاعة

إنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام هو الشفيع في يوم القيامة حيث لا ينفع الإنسان أمّه وأبوه لأنّ حبّهم حصنٌ مصون من كلّ شرّ فالشاعر يستبشر بحبّه للإمام الكاظم عليه السلام سوف يدخل الجنّة دون أي شك وسيسحب ذيله في الجنان بفضل حبّه.

يفرّج المدح عن الشعراء الهمّ وكأنّهم أصبحوا في حمىً وملجأً عن صولات الدهر ولم يكن هذا الأمر بِدعاً عند الشعراء بل هو ديدنٌ قديم قد تعوّدوا عليهم في كلّ حادثةٍ قصدهُ الزمان بها فغدى الشعراء يرجون الوصول إلى غاياتهم بتوسلّهم.

لا ينتاب الشعراء خوفٌ من الدهر ما زال يرون أنفسهم في حمى الرحمن وإنّه يكفيهم من كلّ خير ويكفلهم من كلّ شرّ. يرى الشعراء الإمام عليه السلام الحصن الذي يلجئون إليه عندما تنزل عليهم الدنيا بخطوبها وحوادثها فيكونوا منها في خير حرزٍ وأمان.

يقول ((زيد بن سهل الموصلي النحوي)) في باب الشفاعة معبّرا علي كثرة ذنوبه خاصة الكبائر حيث يرى الإمام عليه السلام ذخر من خير الذخائر:

قصدتك يا موسى بن جعفر راجياً ... بقصدك تمحيصَ الذّنوب الكبائر

ذخرتك لي يوم القيامة شافعا ... وأنت لعمرِ الله خير الذخائر

(شبّر،١٤٠٩)

كما ينشد ((سيد مهدي بحر العلوم)) في باب الشفاعة أبياتا جميلة يتكلّم فيها عن حبّه للإمام الكاظم عليه السلام ويري الإمام بحرا في الجود والسخاء والعطاء:

يا سمي الكليم جئتك أسعي ... والهدي مركبي وحُبُّك زادي

مسَّني الضُرُّ وانتحي بي فقري ... نحو مغناك فقاصدا من بلادي

عند بحر النّدي ابن جعفري ... عند باب الرّجا جدّ الجواد

(المصدر نفسه)

شبّه الشاعر حبّ الإمام عليه السلام بزاد يعين كلّ مسافر في الأسفار المتعبة والبعيدة وكثيرة الأخطار؛ كما شبّهه هداية الإمام بمركب ينجو به كلّ من يريد النجاة وكذلك شبّهه بالبحر في السخاء والجود.

((الخطيب البغدادي)) أيضا له أبيات في مجال الشفاعة يستشفع بها الإمام موسى الكاظم عليه السلام ويراه ملجأ ومدفئا ليريح فيه جسمه وروحه بعد أن ضاقت به الأرض بتلك الوسعة:

لم تـــزل للأنـــام تحســـن صُـــنعا! وتجـــير الـــذي أتـــاك وترعـــي

وإذا ضـــاق الفضـــاء بي ذَرعـــاً يـــا سمـــي الكلـــيم جئتـــك أســـعي

والهـــدي مـــركبي وحبّـــك زادي

(وحيديان، ١٣٩٣: ٢٨)

الخطيب البغدادي كذلك شبّه حبّ الإمام بالزاد التي يرافق كلّ مسافر وهداية الإمام بمركب ينجو به كلّ من ضلّ.

((سيد عباس الهاشم)) أيضا يستحضر وجود الإمام عليه السلام جنبه وينمّ عن حبّه له حيث يراه قريباً فيناديه ويناجيه.

كما يمزج الشكوي بأبيات طلب الشفاعة ويري نفسه كثير الجروح والآلام حيث يشبه عليلا سقيما قد رمته الأرزاء بسهامها ورمحها:

واسمـــع حـــديث جراحـــات ابثّكهـــا بغـــير نطـــق فـــذي الـــدّمعات تكفـــيني

إنّـــي أتيتـــك ياجـــدّاه في شـــجني والعمـــر ســـجني وبســـماتي مســـاجيني

يـــا ســـيد الحـــزن، أدري الحـــزنُ يملؤنـــا نحـــن الهواشـــمُ حـــتى منتـــهي النـــون

خـــذني علـــيلاً بـــلا داءٍ ولا مـــرض لكنـــه الـــدّهر بـــالأرزاء يـــرميني

خـــذني دوائـــي في كفّيـــك يـــا أبـــتي يـــا شِـــبل فاطمـــة الزّهـــراء داووني

(المصدر نفسه، ٢٩)

يرى الشاعر الإمام هو الذي يشفي كلّ الأمراض والجروح حيث يلجأ إليه كلّ مسلم عندما يبتلي بالأمراض والآلام الجسمية والنفسية.

((غلامرضا سازكار)) الشاعر الإيراني كذلك له أشعار جميلة في باب طلب الشفاعة حيث يرى الإمام الكاظم عليه السلام شفيع الخلق كلّهم قي يوم القيامة كما كانوا في زمن حياتهم علي باب حرمه واقفين وراجين الوصول إلى طلباتهم.

الشعر الفارسي: من كيستم ولي خداوند اكبرم/ آيينه تمام نماي پيمبرم/ آرام جان فاطمه و نجل حيدرم/ بابالحوائج همه موسيبنجعفرم/ مولاي كائنات و امام سما و ارض/ بر

جن و انس هادي و مولا و رهبرم/ امروز باب حاجت خلقم به كاظمين/ فردا پناه خلق به صحراي محشرم(موقع شعرا. الموسوعة الشعرية لشعر شعراء أهل البيت).

الترجمة: من أنا ؟ لكن الإله الأكبر/ مرآت انعكاس النبي صلى الله عليه وآله / ابن فاطمة والعلي حيدر/ وهو باب الحوائج لجميع البشر/ سيد الكائنات وامام الأرض والسماء/ وهو قائد الجن والإنس/ اليوم واقف أنا علي باب الكاظم؛ لأنه باب الحوائج/ وغدا ألوذ به في القيامة راجيا شفاعته.

يرسم الشاعر في الأبيات المذكورة صورة متعددة الجوانب من الإمام حيث شبّهه بالنبي صلى الله عليه وآله في كل حالاته خَلقا وخُلقا كما اعتبره مولي لكل كائن حي في الأرض والسماء وكذلك قائد لكلّ جنّ وانسٍ.

((جوليدة النيسابوري)) شاعر ايراني آخر قام بمدح الإمام الكاظم عليه السلام وطلب الشفاعة أثناء أبياته الشعرية ويري أن الإمام عليه السلام هو قبلة الحاجات لا يستطاع العقل أن يصف مكانته وجماله فوق جمال النبي صلى الله عليه وآله يوسف ونور يشعّ ويضيء العالم بأسره.

الشعر الفارسي: بود او ششمين رهبر ز بعد ساقي كوثر/ كه باشد قبله حاجات كوي حضرت كاظم/ نه بتوان توصيفش كرد كه آسان نيست اوصافش/ كه نيكو هست وصف تار موي حضرت كاظم/ ببيند يوسف از رويش بگويد مرحبا بر حق/ كه نيكو خلق كرده حسن روي حضرت كاظم/ بعالم رنگ و بوي گل بود از نور رخسارش/ بود خوي محمد خلق و خوي حضرت كاظم(موقع شعرا. الموسوعة الشعرية لشعر شعراء أهل البيت).

الترجمة: كان القائد السادس من بعد ساقي الكوثر/ هو الإمام الكاظم قبلة الآمال/ لا نستطيع وصفه حيث لم يكن سهلا هذا الأمر/ ووصف وفرته جميلا/ إلى أن يقول يوسف مرحبا للخالق لخلقته هذه/ لأنّه خلق وجها جميلا/ حيث كسب العالم بهجته ورونقه/ وهو قد عكس سلوكيات جده النبي صلى الله عليه وآله.

يرى الشاعر العالم قد إكتسب جماله وبهاءه من نور الإمام وضيائه وهو الذي قد حار النبي يوسف عليه السلام في وصف جماله.

الإمامة

((شيخ عبدالحسن حياوي)) ضمن أبيات قد أنشدها في مدح الإمام الكاظم عليه السلام تطرّق إلى إمامته حيث إعتبره وليا لكلّ مسلم والملائكة تسجد لعظمته وهو الذي ينصر كلّ محتاج وكل فقير مشيرا إلى شجاعته:

جانب الكرخ شأن أرضك شيد	قبر موسى بن جعفر بن محمّد
بثري طاول الثّريا مقاما	دون اعتابه الملائك سُجّد
سابع الصّفوة الّتي اختارها	الله علي الخلق اوصياء لأحمد
هو غيث أن اقلعت سحب الغ	وث إن عزّ كهف ومقصد
كان للمؤمنين حصنا منيعاً	وعلى الكافرين سيفا مجرّد
حرّ قلبي عليه يقضي سِيننا	وهو في السجن لا يزار ويقصد

(شبّر،١٤٠٩)

شبّه الشاعر في الأبيات المذكورة الإمام موسى الكاظم عليه السلام بحصن منيع يلوذ به كل لاجيء وكذلك بسيف مجرد أمام الكافرين وهو الذي تخرّ الملائكة سجّدا لعظمته ومهابته.

((سيد صالح القزويني)) هو شاعر عربي اخر قد تطرّق إلى إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام حيث أشار إلى كراماته واعتبرها بمثابة معجزات:

لهفي لموسى بهم طالت بليثه	وقد أقام بهم خمساً وخمسينا
يزيدهم معجزات كلّ آونه	ونائلا وله ظلماً يزيدونا
باعوا لعمري بدنيا الغير دينهم	جهلا فما ربحوا دُنيا ولا دينا
في كلّ يوم يقاسي منهم حزنا	حتى قضي في سبيل الله محزونا

(محسن عقيل،٢٠١٠)

في الأبيات المذكورة خلق الشاعر صنائعا أدبية كثيرة منها الجناس الناقص وذلك باستحضاره كلمتي((دنيا ودينا)) و كذلك الإشتقاق وقد حقّقه بكلمتي((حزنا ومحزون)).

((آرش برابري)) الشاعر الإيراني يشير في أبياته إلى إمامة الإمام الكاظم عليه السلام حيث يقول وصّي أبوه الإمام الصادق عليه السلام بإمامته مخافة أن تفترق الناس وتتجه نحو سائر إخوته ويؤدّي الأمر إلى التشتت بين المسلمين:

الشعر الفارسي: هرچند مخلوقي، ولي خالق تو هستي/ تنها وصي حضرت صادق تو هستي/ علم لدنّ ي پدر در سينه توست/ جود و كرامت عادت ديرينه توست/ تا پاي جانت پاي قرآن ايستادي/ در فتنه‌ها،اي كوه ايمان ايستادي(موقع شعرا. الموسوعة الشعرية لشعر شعراء أهل البيت).

الترجمة: ولو أنّك مخلوق، لكنك خالق/ أنت الوصية الوحيدة للإمام الصادق عليه السلام/ العلم اللدني في صدرك/ والجود والكرامات هي عاداتك القديمة/ وقفت إلى آخر قطرة دمك للصيانة عن القرآن/ أنت صامد أمام الفتن كالجبل الشامخ.

قد زين الشاعر أبياته باستخدم أروع الصنائع الأدبية في الأبيات السابقة منها التضاد وذلك بإتيانه((الخالق والمخلوق)) وكذلك الكناية بعبارة((تا پاي جان ايستادن)) وهي تعني الوقوف والصمود في أداء الأمور، كما شبّهه بجبل شامخ في وقوفه أمام الفتن والبلايا. ((علي رحيمي)) كذلك قد ركز علي مقام الإمامة في مدحه الإمام موسى الكاظم عليه السلام وتطرّق إلى معاناته من قبل الحكومة الأموية حيث سجنوه وعذّبه كثيرا:

الشعر الفارسي: هفتم امام شيعيان، موسى بن جعفر/ زنداني آل نبي، سبط پيمبر/ در كنج زندان، با حي سبحان/ ناليد و هر دم، گفتا به افغان/ انا فتحنا لك فتحا مبينا(موقع شعرا. الموسوعة الشعرية لشعر شعراء أهل البيت).

الترجمة: سابع أئمة الشيعة، موسى بن جعفر/ سجين آل النبي صلى الله عليه وآله، سبط الرسول/ في زواية السجن/ يا حي يا سبحان/ ينوح ويبكي/ انا فتحنا لك فتحا مبينا.

قد رسم الشاعر من الإمام عليه السلام صورة انسان لا يفارق شفتيه ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ في زمن إسارته في سجون حكام لا يخافون الله ولا يحترمون أوليائه.

النتائج:

إنّ الشعراء العرب والفرس المعاصرين في قصائدهم التي تتناول الشفاعة، يستشفعون بالإمام الكاظم عليه السلام لفكاكهم من الأسر وشفاءهم من الجروح.

اما الأسلوب الذي يستخدمه الشعراء في توسّلهم غالباً ما يكون أسلوب الخطاب، ففي البداية يعددون فضائل الإمام الكاظم عليه السلام ثمّ يأتون بذكر حاجتهم ضارعين مستكينين. وفي شعرهم تكثر الجمل الإسمية غالباً لأنّها تدلّ علي الثبوت فهي أنسب لذكر الفضائل الثابته في وجوده. جاء الشعراء بالألفاظ البسيطة ولكن مفعمة بالمعاني من حيث لا ينحرف ذهن القارئ أو السامع. وتوجد إشارة إلى التزامهم بالنسبة إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهم يعتبرونه خير وسيلة للشفاعة في الدنيا والآخرة.

التعاطف والحنين للإمام الكاظم عليه السلام يشكل جانباً هامّاً من شعر شعراء المعاصرين، ففي شعرهم العاطفي دائماً يتغنون بحبّه ويشتاقون لزيارته. صدقَ عاطفتهم وشدّة انفعالهم النفسي وكيف إنّهم أجادوا في تصوير الحالة التي كانوا عليها بصدقٍ توجد في قصائدهم ومقطوعاتهم.

يذكر الشعراء في أبياتهم مأساة الإمام موسى الكاظم عليه السلام في السجون. وهكذا نرى شعرهم يعطينا صورةً حيةً عن المشاعر العاطفيّة وحبّهم للإمام الكاظم عليه السلام.

شعر مادحي الإمام الكاظم عليه السلام من حيث اللفظ ولو أنه زاخر بالصنائع البديعية والبيان لكن يبتعد عن التكلف والغموض. ومن حيث المعني فقد كان يحمل رسالة للدفاع عن المباني الإنسانية. فهؤلاء الشعراء يعدّون من روّاد الأدب الملتزم.

كان للمديح في ديوان هؤلاء الشعراء مكانة خاصة، حيث كثُرتِ المدائح عندهم؛ وقد زينوا دواوينهم باسم الإمام الكاظم عليه السلام وقاموا بترسيم لوحات شعرية جميلة تنبع من طهارة نفسهم وصدق عاطفتهم وروعة خيالهم إذ لا يتركون فضيلة من فضائلهم ولا حسنة من حسناتهم إلا قد عكسوها في قصائدهم بأفضل صورة. وقد أبدعوا في فن المديح، وحفلت دواوينهم بقصائد المديح إلا أن الأمر الملفت للنظر طريقة سبكهم وصياغتهم لتلك القصائد لذا آثرنا الحديث عنها مباشرةً. وشغل المديح كغرض شعري حجما كثيرا من

دواوين شعراء المعاصرين، إذ صرفوا أغلب شعرهم ونظمهم في المديح الذي اتّسم بطول النفس وهذا يدل على قوة العلاقة بين هؤلاء الشعراء ومجتمعهم.

قائمة المصادر والمراجع

- الأمين، محسن(١٣٧٠ق)، أعيان الشيعة، المصحح حسن الأمين، الناشر دار التعارّف.
- الأيوبي، ياسين(١٩٩٥م)، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، طرابلس: جرس برس.
- آئينه وند، صادق(١٣٨٨ش)، سيره نبوي و سيره نگاران، الناشر خانه كتاب.
- ثروتيان، بهروز(١٣٨٨ش)، خردنامه هاي ايران باستان، ترجمه اي ساده و روان از متن عربي الحكمه الخالدة، الناشر مهتاب، ط١، طهران.
- الدهان، سامي(د.تا)، فن المديح، ط٢، قاهره: الناشر دار المعارف.
- زكي مبارك،أحمد (١٩٩٧ م)، المدائح النبويه ومديح اهل البيت، ط٢،مكتبة الشرق الجديد، دمشق، سوريه.
- السعودي، شيخ محمد فاضل(١٣٧٨ق)، العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر، الناشر زائر.
- شبّر، جواد(١٤٠٩ق)، ادب الطف، الناشر دار المرتضي.
- شميسا، سيروس (١٣٧٨)، نقد أدبي، نشر فردوس، طهران.
- صفا، ذبيح الله(١٣٨١ش)، تاريخ ادبيات ايران (المجلد الأول) ط٢٠، طهران، ققنوس.
- عقيل، محسن(١٤٣١ق)، أروع ما قيل في محمد وأهل بيته، تفاني الشعراء في مدح ورثاء محمد وآل بيته النجباء، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى.
- فاخوري، حنّا(١٤٢٢ق)، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ج ١، ط ٢، منشورات ذوي القربي، مطبعة شريعت..
- محمدي، نادر(١٣٩٢ش)، سيماي پيامبر اسلام صلى الله عليه وآله در اشعار عربي و فارسي ملا محمد فضولي، رسالة ماجيستير، جامعة شهيد مدني آذربايجان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- مطهري زاده، امير(١٣٨٩ش)، بررسي و تطبيق مدايح نبوي در اشعار حسان و خاقاني، رسالة ماجيستير، جامعة شهيد باهنر كرمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- وحيديان، علي(١٣٩٣ش)، امام موسى كاظم عليه السلام در آينه اشعار عربي معاصر، رسالة ماجيستير، جامعة حكيم سبزواري.